المضامين الفكرية والفنية في نماذج مختارة من أعمال وتصاميم المصور الجداري عبد المنان شما

ديانا سليمان * الدكتور فيروز هزي**

الملخص

نظراً إلى أهمية فن التصوير الجداري، وغنى سورية بهذا الإرث الحضاري القديم الذي خلد لنا لوحات جدارية تعود إلى حقب مختلفة من تاريخ سورية. فهو يسهم إسهاماً كبيراً في رقيَ الأمة الحضاري والثقافي، كما أنه يؤدي وظائف اجتماعية وجمالية تزيينية ترفع من قيمة العمارة وتضفي الحيوية على الوسط المحيط. هَدَفَ البحث إلى إلقاء الضوء على نماذج فنية مهمة مختارة من أعمال الفنان عبد المنان شما وتصاميمه لم يسلط عليها الضوء سابقاً. تشمل لوحات جدارية منفذة وأخرى صممت بمنزلة مشاريع لأعمال جدارية سورية معاصرة. كما يهدف البحث إلى التطرق إلى المضامين الفكرية والفنية لتلك اللوحات التي شملت موضوعات وطنية وقومية وموضوعات شعبية استلهمت التراث الشعبي السوري بروح معاصرة. فقد أكد الفنان على الأهمية الفكرية والفنية للعمل الفني الجداري، فالموضوع عنده ينتمي إلى فكره الوطني والقومي والإنساني، والأسلوب الفني يعتمد عنده ليس فقط على تقانات التصوير الجداري، وإنما أيضاً على جذوره ومنابعه التراثية المحلية، وعلى تلازم الشكل مع المضمون في العمل الفني، مما يدلُّ على ثقافة الفنان النظرية وخبرته العملية والتقنية في هذا المجال.

فضلاً عن المصادر والمراجع المختلفة التي أغنت البحث، إلا أنه يعدُّ أهم وأصدق مصدر، هو إجراء مقابلة مباشرة مع الفنان شما نفسه، فقد تم الحصول على الصور التوضيحية للأعمال الفنية من أرشيف الفنان الخاص.

الكلمات المفتاحية: الرسم الجداري الرسامون السوريون عبد المنان شما.

* أعد هذا البحث في سياق رسالة الماجستير للطالبة ديانا سليمان بإشراف الدكتور فيروز هزي -كلية الفنون الجميلة- قسم التصوير - جامعة دمشق

** كلية الفنون الجميلة - قسم التصوير - جامعة دمشق

1. لمحة موجزة عن أهمية التصوير الجداري بشكل عام:

"إن الأهمية البالغة والدور الكبير الذي تؤديه الفنون بصورة عامة والجدارية منها بصورة خاصة في حياة الإنسان ونشاطاته، هي أنّها تطرح مسائل فكرية وتقنية وجمالية وتقترح الحلول المناسبة لها، وبهذا فهي تسهم إسهاماً فعالاً في حض عقول الناس وتحريضهم وإلهاب مشاعرهم، وتبحث في القضايا الأزلية وقضايا الخير والشر، كما تساعد على فهم المحيط الخارجي وتفسير ظواهره وفي إخضاع الطبيعة لمصلحة الإنسان"[1].

إن فن التصوير الجداري التزييني يشكل أحد المظاهر الحضارية التي تسهم في تقدم الشعوب وارتقائها وتخلد تاريخ الأمة وحضارتها وثقافتها وتراثها. فقد شهدت سورية ازدهار هذا الفن وتطوره عبر العصور التاريخية القديمة التي تعاقبت على الأراضي السورية، وخلدت أعمالاً تصويرية جدارية تعدُّ مرجعاً تاريخياً وثقافياً يترجم تقاليد تلك الحضارات وعاداتها وثقافها وتعبر عن مدى أهمية هذا الفن وعن مهارة فنان ذلك العصر وذوقه والغنى والتنوع في الأفكار والموضوعات المطروحة التي بدورها تتكامل فكراً وفناً مع طبيعة العمارة الداخلية والخارجية وشروطها - سواء الدينية منها أم المدنية - والتي نفذت بتقانات جدارية من فسيفساء وفريسك أثبتت مقاومتها لعوامل الطبيعة. وهكذا فإن فن التصوير الجداري يعدُّ من أهم الفنون التشكيلية التي تحتاجه بلادنا في الوقت الحاضر، فقد عدَّ الفنان عبد المنان شما أن الفن الجداري هو "من أكثر الفنون التشكيلية جماهيرية، لاتصالها المباشر واحتكاكها اليومي بالمواطن، تحرض أفكاره وأحاسيسه"[2]. حيث بتنا نشهد قلة هذا الفن الخالد بل وغيابه في شوارع وساحات وحدائق وواجهات الأبنية العامة والخاصة في سورية. فالعمل النصبي - سواء أكان تصويراً أم نحتاً "هو شكل حضاري يحمل قيماً اجتماعية معنوية إلى الأجيال اللاحقة ويعكس حصيلة ثقافية رفيعة المستوى من خلال حضوره الطويل، والديمومة في الطبيعة"[3].

2. عبد المنان شما واحد من أهم وأوائل المختصين في فن التصوير الجداري في سورية:

ومع نهوض الفن التشكيلي السوري ــ المعاصر في منتصف القرن العشرين، بتنا

نرى في أعمال قلة من الفنانين التشكيليين المعاصرين الذين كان لهم الدور الكبير في إعادة الاهتمام بالتصوير الجداري بصورة فنية معاصرة، وتعرّف شروطه وأساليبه وخصائصه وميزاته التزيينية الفنية والجمالية، وقيمته الفكرية بصورة خاصة وطرحها عبر أعمال فنية جدارية معاصرة. ويعدُّ الفنان عبد المنان شما (1937م) أحد أهم الفنانين الذين أسهموا إسهاماً فعالاً في الاهتمام بفن التصوير الجداري السوري المعاصر. وقد أوفد الفنان لدراسة الفن في أكاديميات الاتحاد السوفييتي مدة امتدت بين عامي (1958 -1971) م، التي تعدُّ من أهم المراحل الحياتية التي ساعدته على تكوين شخصيته الفنية، وذلك من خلال تخصصه في ميدان التصوير الجداري ودراسته لأصوله ومبادئه وقواعده على يد أمهر المختصين في أكاديمية (سوريكوف) في موسكو، وتعرّفه تقاناته وممارسته لها عملياً، وتعمقه في الدراسات النظرية وتعرفه تاريخ الفن القديم والحديث، واطلاعه على متاحف الفن في العالم وإلمامه بالمعارف الجمالية الفنية والخبرات العملية، وتأثره بأسلوب الفن الواقعي الاشتراكي. تلك العوامل التي أدّت إلى تعميق تجاربه عبر أعمال فنية رائعة، زادت من إمكاناته وطاقاته الإبداعية، التي بدورها مهدت له أمام تبلور شخصية فنية لها جذورها ومبادئها الخاصة وأسلوبها المميز. إذ أصبح رائداً من رواد الرسم الواقعي الحديث في حركتنا التشكيلية السورية المعاصرة، وقد تبنى في أعماله الفنية

أصول الأسلوب الواقعي الاشتراكي ومبادئه وقواعده في الفن، معتمداً في ذلك على الموضوعات المحلية وعلى أهم عناصر الأساليب الفنية المتبعة في تراثنا الفني المحلي العريق عبر الحضارات المتعاقبة منذ أقدم العصور، الذي كشف عنها بوصفه مصوراً جدارياً باحثاً في رسالة الدكتوراه التي حاز عليها عام 1971م من أكاديمية الفنون السوفيتية بموسكو والتي كانت أول درجة علمية يحصل عليها فنان سوري باحث. فكانت انطلاقته الأولى نحو إبداع لوحات فنية عرضت مراراً في مختلف معارض موسكو في مدة الإيفاد، وفي معارض مختلفة في سورية. كما ترأس الإشراف على التقانات الجدارية المختلفة التي نفذها مع مجموعة من الفنانين الدارسين الشباب لتزيين قصر الكشافين بمجموعة من الأعمال الفنية الجدارية بمختلف التقانات الجدارية الملائمة للمبنى من الداخل والخارج في مدينة كوستناي بجمهورية كازاخستان السوفيتية في صيف 1963م، والذي مازال قائماً. فقد تبنّى الفنان الأسلوب الواقعي في نتاجه الفني وعياً منه على أن طرح عمل تشكيلي فكري وفني بالصياغة التي تناسب المكان المخصص تزيينه بحيث يكون مؤثراً ومقنعاً وخالداً... وبذلك يلتقي الفنان شما مع زميله الفنان الراحل نعيم إسماعيل الذي يعدُّ أيضاً أنَ "الفنان يكون واقعياً، بالقدر الذي يحتوي عالمه فيه على عناصر على صلة بالمشكلة الاجتماعية وبالظواهر التي تحدد مسيرة مجتمع الفنان بشكل ما، على أن نأخذ بالحسبان المشكلات الاجتماعية المماثلة للشعوب، كالجوع والاضطهاد والنضال والحرية، ففي التعبير في هذه الأمور الإنسانية الشمولية كل (الواقعية) مهما كانت الرموز والظواهر مختلفة"[4].

3. نماذج من الموضوعات الوطنية والقومية التي تناولها الفنان عبد المنان شما في أعماله الفنية الجدارية:

الفنان عبد المنان شما كغيره من الفنانين الذين تأثروا بالأحداث التي عمت أرجاء سورية وما طرأ عليها من تغيرات سياسية وقومية ووطنية واجتماعية.. تركت في نفسه الأثر الكبير لتخليد أعمالٍ فنية جدارية مهمة. يقول الفنان "إن العلاقة بيني -كفنان عربي سوري معاصر من جهة - وبين بيئتي ومجتمعي من جهة ثانية، علاقة جدلية أزلية متطورة ولا يمكن أن أعيش بمعزل عن هموم ومشاكل وطني وأمتي. ومن أولى واجباتي أن أعمل على تحقيق إنسانيتي من خلال إنتاجي الفني الذي يتغنى بالتعبير عن الأشكال الفنية لأوجه انتمائي لوطني ولبيئتي ولمجتمعي بكل صدق وإخلاص وأصالة"[5]. أتاحت تجربة الفنان الفنية أن يقدم أعمالاً فنية جدارية مهمة لها خصوصيتها، ولها أسلوبها الفني الخاص على الساحة الفنية التشكيلية السورية المعاصرة التي أثبت قدرته على معالجة كافة الموضوعات المُلحَة كلّها من سياسية واجتماعية وقومية ووطنية وإنسانية وغيرها بصياغة فنية اعتمدت الأسلوب الواقعي الحديث من خلال طرحه لمجموعة من الموضوعات كأعمالٍ جدارية حققت أثراً فنياً وفكرياً في حياته الفنية. فإلى الفنان يعود أول عمل جداري زخرفي معاصر في سورية بعد الاستقلال حيث قام بتصميمه وتنفيذه صيف 1966م، لمدخل مدينة معرض دمشق الدولي من جهة ساحة الأمويين، اللوحة(1). يعبر موضوع العمل الجداري عن (سورية الحديثة تبني نفسها في زمن السلم بكل ثقة واقتدار). حيث نرى في أقصى اليسار صورة فنية ترمز لإنسان محلي يرتدي زيَاً عربياً يشير إلى آثار حضارتنا وتراثنا التي نفتخر بها فضلاً عن منجزاتنا في الزراعة

والصناعة والعلم.. كما صور الفنان (سد الفرات العظيم) قبل بنائه ومحطات الطاقة الكهربائية والنووية والمصانع ومعمل السكر، وكذلك الآلات والأدوات الزراعية.. كما رمز بصورة فنية أخرى إلى العلم والرياضة والسياحة في سورية الحديثة. أمَّا في أقصى اليمين فنرى مشهداً فنياً آخر يرمز للريف والقطاف والخير. نفذ التصميم الفني بمجموعة الألوان الذهبية على خلفية مناسبة بتقانة الزيت على ألواح من خشب اللاتيه، واللوحة موجودة حالياً بالمتحف التابع لمعرض دمشق الدولي. وهكذا فقد تعددت وتنوعت الأعمال الفنية الجدارية التي جمع فيها الفنان الأفكار الوطنية والقومية كلّها بنظرة تفاؤلية للمستقبل والحياة وبناء الإنسان بناء عملياً وعلمياً ليسهم بدوره في بناء الوطن. فتضمنت أعماله حضارتنا وآثارنا ومنجزاتنا الثقافية والزراعية والصناعية والمنشآت الحضارية الأخرى التي نطمح لها في ذلك الوقت. فرصد فيها العامل والصانع والفلاح والطبيب وكذلك المعلم والجندي الذين كانوا رمزاً للاستقلال الوطني والتحرر. من أهم تلك التصاميم الجدارية، مشروع عمل جداري يعبر عن (نضالات الشعب السوري من أجل حياة حرة كريمة، ومقاومة الاستعمار والعدوان والبناء السلمي الذي تنشده الأجيال العربية). نفذ الفنان هذا العمل خلال دراسته في موسكو بألوان التمبرا على ورق عام 1968 اللوحة(2). وقد عرض عام 1974 في المعرض الأول الذي أقامته وزارة الدفاع بالتعاون مع نقابة الفنون الجميلة بمناسبة الذكرى الأولى لحرب تشرين التحريرية، حيث تم اقتناؤه لصالح وزارة الدفاع. فنرى في الجزء المعروض من الجدارية رمزاً إلى عدوان حزيران 1967 فقد أراد أن يرمز إلى الحصان في صورة فنية عن الصرخة العربية والعالمية على العدوان الإسرائيلي السافر الذي ينتج عنه المقاومة من أجل التحرر والاستقلال. فصور الفنان عمالاً يؤدون القسم للأخذ بالثأر وتحرير الأرض من العدوان الإسرائيلي الذي وقع على شعب مسالم. فالموضوع يحمل أفكاراً وطنية وقومية مستمدة من واقع الشعب ونضاله، معتمداً الأسلوب الفني الواقعي التعبيري الحديث حيث يظهر فيه القدرة على التأليف من حيث الاستفادة من عناصره الفنية وإعادة توزيعها وتوظيفها بأسلوبه الخاص في عدد آخر من أعماله الجدارية التي حملت السمات ذاتها الوطنية والقومية والإنسانية التي منها لم يُذكر في البحث كونها لا توجد صور لها بين يدي الباحث في الوقت الحاضر لأسباب كثيرة خارجة عن إرادته، وسوف تجد طريقها إلى النور مستقبلاً. والتي منها:

عمل جداري خاص بتزيين الجناح العربي السوري في معرض دمشق الدولي عام 1973 وعمل فني آخر لتزيين إحدى ساحات مدينة معرض دمشق الدولي عام 1974م نفذه بالاشتراك مع زميله الفنان ممدوح قشلان بتكليف من مديرية المعرض. وأعمال فنية أخرى متعددة (نفذها لتزيين ساحات مدينة معرض دمشق الدولي بتكليف من المدير العام لمؤسسة المشاريع الكبرى في سورية صيف 1975م. وأيضاً تصاميم لموضوعات جدارية أخرى منفذة على الورق بألوان التمبرا عن المقاومة الفلسطينية ونكسة حزيران وغيرها من الأعمال، التي تم اقتناؤها لصالح متحف الفنون الشرقية بموسكو عام 1969م حيث تعرض هناك. كما يوجد عملان منفذان بأحجار الفسيفساء في كنيسة السيدة فاطمة بدمشق عام 1976م أحدهما وجه السيدة العذراء الذي قام بإعادة تصميمه وتنفيذه، إذْ إنَّ الأصل كان منفذاً من قبل فنانين برتغاليين ولا يفي بالغرض، فطُلِب منه إعادة تصميمه وتنفيذه. إلى جانب عدد من الأعمال الفنية الأخرى. أبرز الفنان في تلك الأعمال الجدارية قدرته على الاستفادة من التراث وذلك من خلال الزَيَ الشعبي (الفولكلوري) لشخوصه، وعبَر عن الهوية السورية في السحنات

العربية المحلية، التي تحمل الثقة بالنفس والبطولة والكرامة التي تتجلى في كل إنسان عربي مناضل. فكل عنصر فني وكل جزء يمكن أن يوظف في أكثر من عمل جداري عن طريق إعادة التأليف والصياغة والتوزيع الفني للأشكال والعناصر الفنية، وصياغتها وفق تأليف فني وفكري مدروس. وتجدر الإشارة إلى أن الفنان شما قد سهم بوضع عدة تصاميم فنية وزخرفية للبوابة الرئيسية للقصر الجمهوري (تشرين) وتزييناتها الجدارية من خلال مشاركته باللجنة الفنية المخصصة بتزيين قصري رئاسة الجمهورية (تشرين والشعب) بين عامي (1977 -1987)م.

كما يعود للفنان عبد المنان شما تصميم مشروع عمل جداري عُدَّ لإحدى ساحات حمص عام 1972م اللوحة (3). يمثل موضوعها (ولادة سورية الحديثة في عهد الاستقلال). فقد رمز إلى الأمومة في الوسط، وفي اليمين إلى إعلان النفير العام، وفي اليسار نرى أداء القسم للأخذ بالثأر للشهداء وضحايا الاستعمار واستخدم بالأدوات الموسيقية البسيطة (الطبل والزمر) المتوافرة في الريف آنذاك. كما نلاحظ في الأعلى أرتالاً من عمال وفلاحين وجنود وطلبة يسيرون باتجاه التحرير، ونرى مشهداً فنياً يصور بكاء النسوة على أحد الشهداء. إن اللوحة بمشاهدها الفنية التعبيرية قد عبرت كما في معظم لوحاته الجدارية الأخرى عن المضمون الوطني، وذلك بإظهار الشخوص المحلية بأزيائهم وسحناتهم العربية بصورة فنية وفكرية مؤثرة ومعبرة على شكل مجاميع بشرية تحقق التوازن في العمل الفني. فهناك صورة فنية لأداء القسم، وصورة فنية لإعلان النفير، ومشهد (الولادة الجديدة). فالمغزى الفكري من هذه الصور الفنية، أن الفنان أراد أن "يجعل مقابل كل شهيد ولادة جديدة ونحن مستمرون في طريق التحرير والاستقلال"[6] حسب تعبير الفنان كما قام الفنان شما بوضع عدة تصاميم فنية معمارية تكون حاملة لهذه الجدارية وتؤدي بالوقت نفسه وظيفة (نصب تذكاري فراغي) للمكان المُقترح لتنفيذ الجدارية كما في النماذج المرفقة مع اللوحة(3). ونرى ذلك في أعمال فنية جدارية أخرى حملت السمات والوظيفة الفكرية والفنية ذاتها والأهمية النصبية التذكارية من خلال التصاميم المعمارية المخصصة لها كما في اللوحات (4و5و6). ونرى ذلك أيضاً في إفريز جداري نفذه الفنان على ألواح من اللاتيه بألوان زيتية على واجهة مبنى البريد والاتصالات في الساحة الرئيسية لمدينة حمص عام 1966م، اللوحة(7). يعبر مضمون العمل عن (أعياد الجلاء رمزاً للاستقلال وبعض المنجزات التي حققها الوطن). ويظهر في اللوحة نفسها صورة فتاة شابة تحمل سنابل القمح حيث تمثل "رمزاً لسورية الحديثة الصاعدة المستقلة"[7] حسب تعبير الفنان. وتجدر الإشارة إلى أن هذه اللوحة هي عمل فني آخر مستقل معدٌ لمكان آخر ليس له علاقة بالعمل الفني السابق لا من حيث المكان ولا من حيث الموضوع وجاء مصادفة مصوراً أمام الإفريز الجداري المذكور أعلاه كونه لاتوجد صورتان مستقلتان للعملين المذكورين. وهناك أيضاً دراسة وتصميم لعمل جداري آخر لمدينة الرقة (درة الفرات) بتكليف من محافظ الرقة لتزيين مبنى قصر المحافظة في مدينة الرقة آنذاك لكل من الفنانين عبد المنان شما وخالد المز، اللوحة(8). فقد صَوَّرَ الفنان فيها مبنى قصر المحافظة، وجعل من محصول القطن في أسفل اللوحة صورة فنية موزعة ضمن نسق تزييني يخدم الإطار، موظفاً بذلك سنابل القمح فضلاً عن إنجازات سورية بعد الاستقلال في مختلف المجالات، حيث "رمز بالمحبرة والريشة والكتاب إلى العلم والثقافة والمعرفة وكلّ ذلك في سبيل السلام فالمحبرة والريشة

معبر عنهما بتحرير بلدنا بالقلم والسيف وهدفنا سلمي إنساني، هدف إعمار وبناء وليس هدف احتلال"[8] حسب تعبير الفنان شما. يضاف إلى ذلك عدد من اللوحات الجدارية التي أثبت الفنان من خلالها قدرة فنية وتقنية، إلى جانب حرصه على أهمية العمل الفني من الناحيتين الفكرية والفنية، وإتقان الأسلوب الفني الجداري من حيث التبسيط في الشكل واللون، وإظهار الخط الغرافيكي المحدد للشكل، والمعالجة الفنية للأشكال وفق مبدأ التسطيح المتوازن والانسجام بين عناصر التكوين.

4. نماذج من الموضوعات الشعبية التي تناولها الفنان عبد المنان شما في أعماله الفنية الجدارية:

ترعرع الفنان عبد المنان شما في بيئة غنية بالمشاهد المحلية والشعبية التراثية، الأمر الذي ساعده على استلهام قسطٍ كبيرٍ منها في إبداعاته الفنية. ذلك "أن الفنون الشعبية مفهومة للجميع. إنها تبعث في قلوب الناس سروراً، وفي الوقت نفسه تغني تصوراتهم عن الشعوب الأخرى"[9]. فقد أحيا بأعماله الفنية الجدارية تراث ريفنا وعاداتنا وتقاليدنا برؤية فكرية وفنية معاصرة. فهو يعتمد الأصالة في اختيار الموضوعات التي ترصد البيئة السورية الشعبية الريفية، ويتمسك بالقيم التراثية النابعة من تراثنا العربي العريق، ليعيد إحياءه في لوحاته التي تعدُّ وثيقة خالدة تخلد تراث أمتنا العربية. فالأصالة عنده "تقتضي من الفنان أن يعيش عصره بصدق كما أنها بطبيعتها تستدعي النظر إلى التراث نظرة حية. والفنان العربي المعاصر يشعر بالفراغ إذا لم يتمسك بتراثه عبر قراءة واعية للتعرّف قيمته والاتصال بالماضي بوعي وفكر ووجدان يقظ"[10]. وتعدُّ الثلاثية الجدارية الذي قام بتصميمها وتنفيذها بعد عدة دراسات فنية في موسكو عام 1964م اللوحة(10) التي تمثل الجزءان الأيمن والأيسر من الثلاثية، أمَّا (صورة الجزء الأوسط فهي غير متوافرة حالياً بين يدي الباحث). ويُعبِّر موضوع الثلاثية الجدارية عن (الرقص الشعبي السوري ابتهاجاً بأعياد الجلاء والأعياد السورية الوطنية والقومية كلّها). أمَّا اللوحتان(9و11) فتمثل كل منهما مشروعاً لعمل فني جداري مستقل للموضوع نفسه. فقد جسد الفنان من خلال الأعمال المذكورة في اللوحات (9و10و11) تراث سورية وثقافتها وأبرز مقدرة فنية كبيرة من خلال طرحها بأسلوب واقعي حديث، اعتمد فيه على تبسيط المساحات اللونية، وإظهار الخط وجعل الشخوص في المقدمة قريبة من عين الناظر وفق مستويات تمثل القرب والبعد التي يظهرها على مساحة مسطحة مع المحافظة على النسب، وذلك يعدُّ من أبرز سمات التصوير الجداري الأصيل الذي اتبعه الفنان في أغلب لوحاته الفنية حيث استطاع أن يجتذب العديد من المشاهدين ومتذوقي الفن في روسيا في ذلك الوقت. ويعتمد الفنان شما في بناء عمله الفني على أساس عقلاني، فأشكاله وعناصره يتوصل إليها بشكلها النهائي بعد عدة دراسات فنية مسبقة، سواء من ناحية الخط أم اللون أم التقانة أم التكوين، وكيفية توظيف وتوزيع عناصر العمل الفني كلّها. فقد قام بوضع عدة دراسات مسبقة لهذا العمل بتقانة التمبرا وبحجوم مختلفة. وكان مقرراً تنفيذ هذا العمل بأجزائه الثلاثة في جامعة الصداقة في موسكو بتقانة الفسيفساء، إلا أنه قام بتنفيذ الجزء الأيسر من الثلاثية رقم(10) بتقانة الفسيفساء. "ترمز خلفية كل جزء من هذه الثلاثية إلى لون من ألوان العلم السوري، فخلفية الجزء الأيمن منها لوَن باللون الأخضر، وخلفية الجزء الأيسر منها لوَن باللون الأسود، وخلفية الجزء الأوسط لوَن باللون الأحمر، (رمز نجوم العلم السوري) أمَّا اللون الأبيض فرمز به إلى ثياب الراقصين والراقصات المستمدة من الفولكلور الشعبي السوري"[11] حسب تعبير الفنان. وقد استعان الفنان بوجوه الطلبة السوريين الدارسين معه في موسكو. وهكذا فإن الفنان أثبت من خلال هذا العمل الجداري الأهمية والقيمة الفنية والفكرية

التي جعلت منه عملاً أصيلاً. فقد أعطى تصوراً عن أفراح سورية الشعبية وأتراحها وتقاليدها إلى بلدان الشعوب الأخرى، فهو بمنزلة رسالة حية تخلد تراثنا الشعبي، وقد قامت نقابة الفنون الجميلة بطبع اللوحة رقم (9) مع غيرها من أعمال فنية لفنانين سوريين كبطاقة فنية ثقافية تتبادلها مع الوفود الأجنبية في ذلك الوقت. وهكذا فقد أظهر الفنان عبد المنان شما في هذه الجدارية للشعب السوفييتي والشعوب الأخرى "أناقة وقومية الرقصات الشعبية السورية"[12]. وفي تصميم لوحة جدارية أخرى يحمل موضوعها (رقص السماح) المستمدة من تراثنا السوري القديم، والمنفذة عام 1968 في موسكو اللوحة(12). فقد كانت الدراسات الأولية لهذه اللوحة احتمالاً آخر للجزء الأوسط من الثلاثية الجدارية الآنفة الذكر (الرقص السوري الشعبي) كونها تشترك في الموضوع والمضمون والأهمية والقيمة الفنية والفكرية نفسها وبعد التعديل جعل لوحة (رقص السماح) مشروعاً لعمل جداري مستقل بذاته.

ويعود للفنان عبد المنان شما عدد من اللوحات التي تستلهم التراث السوري الشعبي، منها لوحة محفوظة في وزارة الثقافة التي تمثل فلاحة مع طفل، يعملان في تفصيص الفاصولياء، ولوحة أخرى تخلد المقهى الشعبي السوري. إلى جانب عدد من اللوحات المهمة الأخرى... فالفنان يصب اهتمامه نحو اللحظات الفريدة المقتبسة من صميم بيئتنا الشعبية وعلى مضمونها وعناصرها الأساسية.

وتجدر الإشارة إلى عدد من التصاميم الجدارية التي نطرحها كمثال على خبرة الفنان التقنية والعملية الطويلة، منها لوحة (حاملات الجرار من العين وإليها) المنفذة في روسيا عام 1962م، والمعدة للتنفيذ بتقانة (اسكرافيتو) اللوحة(13). استمد الفنان الموضوع من البيئة الريفية السورية. إن تلك التقانة حسب تعريفها من قبل الفنان عبد المنان شما: هي "إحدى تقانات التصوير الجداري التي تنفذ على الجدار مباشرة بوضع عدة طبقات من الطينة الملونة، فقد تتكون من ثلاث إلى خمس طبقات، بدءاً من اللون الغامق وصولاً إلى اللون الفاتح، ثم يتم تقشير الأجزاء اللازمة من كل طبقة حسب الرسم والتصميم الملون والموضوع سابقاً من قبل الفنان وذلك بالتدريج ليظهر لون الطبقة التي تحتها. وتنفذ الأعمال الفنية بهذه التقانة على الجدران الداخلية للعمارة"[13]. وفي مشروع لعمل فني جداري آخر مستمد من تكوين خاص لموضوع ريفي سوري محلي وهو معدّ لينفذ بتقانة الزجاج المعشق (فيتراج) اللوحة(14). حيث طوع أسلوبه الفني لخدمة التقانة الفنية المكونة من (معدن وزجاج ملون) والذي يتطلب الخط الواضح والمحدد ليتناسب وطبيعة مادة المعدن، وتحوير الشخوص المستمدة من الواقع وفق أسلوب هندسي تبسيطي، فالفنان اعتمد التبسيط في المساحات اللونية إلى جانب إبراز الخط، مازجاً بذلك الخلفية مع الشخوص والعناصر الأخرى المكملة للعمل الفني، بطريقة جديدة تتناسب وتتفق تماماً مع هذه التقانة المتميزة عن غيرها. هذا فضلاً عن العديد من اللوحات الجدارية التي أثبت الفنان فيها مقدرة فنية وتقنية وفي إلمامه بتقانات التصوير الجداري جميعها وممارسته عملياً لها.

الخاتمة:

وهكذا فقد استطاع الفنان عبد المنان شما في مجمل أعماله التصويرية الجدارية

سواء التي نفذها في روسيا أم في سورية - أن يقدم لنا نماذج مهمة من فن التصوير الجداري السوري المعاصر، ذلك من خلال الموضوعات المحلية المهمة

التي تناولها، والتي ارتبطت بالواقع السوري المُعاش وانعكاساته الوطنية والقومية والإنسانية، من خلال اعتماده أسلوباً فنياً واقعياً حديثاً، له جذوره ومنابعه التراثية المحلية، والتي استُنبِطَ واعتُمِدَ كأساس لأعماله. فكل جزء من عمله الفني يحمل مقومات الفن الجداري الخالد. حيث استطاع الفنان شما أن يترك بصمة واضحة في تاريخنا الفني الحديث من خلال أعماله الفنية سواء التي نفذها على جدار أم تلك التي كانت بمنزلة تصاميم لمشاريع جدارية مستقبلية أم غيرها من الأعمال الفنية في مجال فن التصوير. كما يعدُّ الفنان عبد المنان شما المرجع الأساسي لكثير من المعاصرين والمهتمين في دراسة أصول هذا الفن العريق وقواعده وأساليبه وفي تعرّف تقاناته، وإدراك قيمته الفنية والفكرية التي تحقق الخلود للمنتجة الفنية، فقد كانت له العديد من الأبحاث العملية والنظرية في هذا الميدان الفني المهم. وهكذا فقد أثبت الفنان شما بأنه صاحب رسالة فنية ثقافية خالدة، ينقل عبرها للأجيال اللاحقة التقاليد الفنية الأصيلة التي تتعلق بالتراث الشعبي وتعبر عن انتمائه الإنساني والقومي والوطني والحضاري للبيئة والمجتمع العربي السوري.

5. النتائج:

من خلال دراستنا لنماذج من الأعمال الفنية الجدارية للفنان عبد المنان شما سواء المنفذة أم تلك التي أُعدّتْ لتكون مشاريع لأعمال جدارية مستقبلية نرى أنها تتمثل بمايأتي:

أولاً: المضامين الفكرية التي تطرَق إليها الفنان سواء الوطنية منها أم الشعبية أم المستمدة من تراثنا العربي المحلي، تعدُّ موضوعات مهمة تحمل أبعاداً وطنيةً وقومية وإنسانية أصيلة، وتخلد تراثنا وثقافتنا العربية الأصيلة كونها نابعة من فكر عربي صادق وأصيل.

ثانياً: تلازم الشكل مع المضمون في العمل الفني الجداري من الناحيتين الفكرية والفنية.

ثالثاً: التنوع في التقانات الفنية المنفذة في عدد من الأعمال الجدارية التي تطرق إليها البحث.

رابعاً: تطويع عناصره وأشكاله فنياً في خدمة العمل الفني وإمكانية توظيفها تقنياً ومعالجتها بخامات تُلائم وتُناسب تقانات التصوير الجداري.

خامساً: شملت بعض التصاميم الفنية للوحات الجدارية المستقبلية، دراسات لتصاميم معمارية مهمة تكون حاملة للعمل الجداري وتؤدي وظيفة نصب تذكاري للمكان المخصص له.

الاقتراحات والتوصيات:

أولاً: نقترح على الجهات المختصة تبني نماذج من الأعمال والتصاميم الجدارية المستقبلية للفنان عبد المنان شما بُغية إنجازها في الأماكن الملائمة من وطننا الحبيب، علماً بأن بعضاً من هذه التصاميم ضمَنها الفنان نفسه دراسات معمارية مرافقة لها لتكون بمنزلة نصب تذكارية حاملة للوحاته وتصاميمه الجدارية من أجل تزيين مواقع محددة في بعض مدننا السورية، حيث يُتاح إمكانية رؤيتها مستقبلاً.

ثانياً: إعادة إحياء الأعمال الجدارية المهمة التي نفذها الفنان في مواقع محددة في كلٍ من مدينة حمص ودمشق في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، والتي لم نعد نراها في الوقت الحاضر لأسباب شتَى.

ثالثاً: الاستفادة من خبرة المصور الجداري الفنان شما وغيره من المختصين من الفنانين السوريين في هذا المجال، ليأخذوا دورهم في تزيين واجهات الأبنية الرسمية والساحات العامة بالأعمال الفنية الجدارية التي تحكي قصة نضالات شعبنا العربي السوري في شتَى المجالات العلمية والفنية والحضارية...

(فمن حقنا أن نناضل من أجل حياة أفضل بشتَى السُبل المتاحة ولاسيَّما الثقافية).

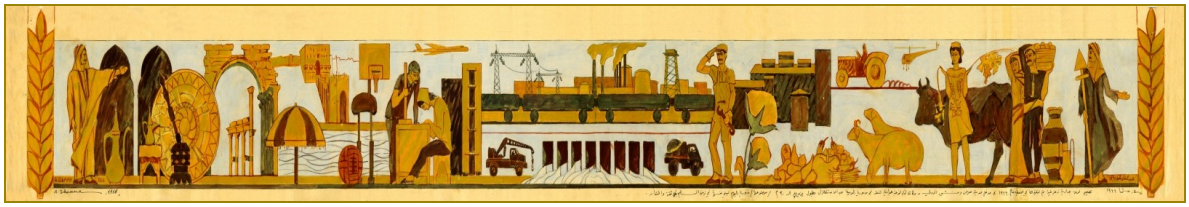

اللوحة (1): سورية الحديثة تبني نفسها في زمن السلم بكل ثقة واقتدار

اللوحة (2): جزء من تصميم اللوحة الجدارية التي تعبر عن نضالات الشعب السوري من أجل حياة حرة كريمة تنشدها الأجيال العربية

اللوحة (3): ولادة سورية الحديثة في عهد الاستقلال

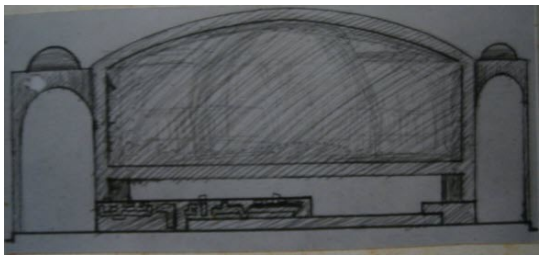

دراسة أولى لتصميم معماري مقترح للوحة رقم (3)

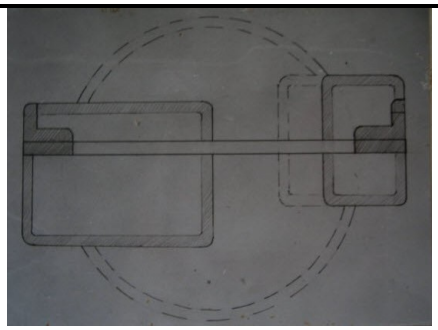

دراسة المسقط الأفقي للتصميم المعماري

دراسة ثانية لتصميم معماري للوحة رقم (3)

دراسة ثالثة لتصميم معماري مقترح للوحة رقم (3)

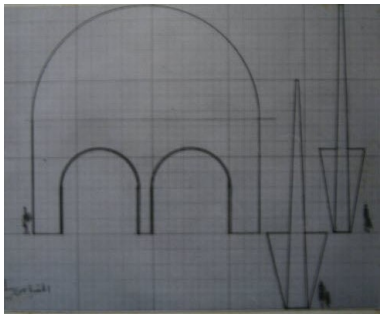

دراسة الواجهتين الأمامية والجانبية مقترح والجانبية للتصميم المعماري

دراسة لتصميم معماري مقترح للوحة رقم (5)

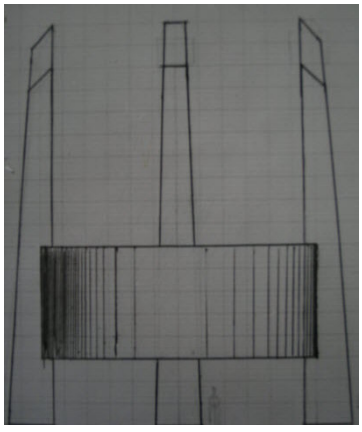

دراسة الواجهة الأمامية من التصميم المعماري

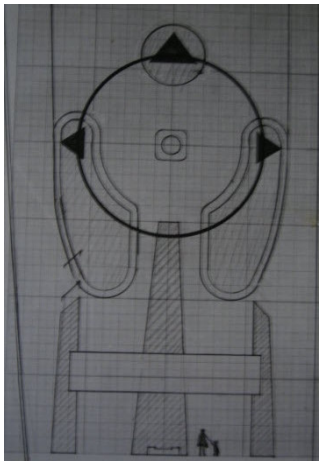

دراسة المسقط الأفقي من التصميم المعماري

اللوحة (4): ثلاثية جدارية تعبر عن مراحل منجزات بناء الوطن

اللوحة (5): منجزات سورية من أجل الحفاظ على استقلال الوطن

اللوحة (6): من أجل ترسيخ أسس الاستقلال الوطني وبناء الدولة السورية الحديثة

اللوحة (7): جزء من لوحة جدارية تمثل أعياد الجلاء رمزاً للاستقلال وبعض المنجزات التي حققها الوطن

اللوحة (8)

دراسة وتصميم لوحة جدارية لمدينة الرقة - درة الفرات

بالمشاركة مع الفنان خالد المز

اللوحة (9): رقص شعبي سوري ابتهاجاً بعيد الجلاء وبشتى المناسبات الوطنية

اللوحة (10): الجزءان الأيمن والأيسر من ثلاثية جدارية الرقص الشعبي السوري ابتهاجاً بأعياد الجلاء والأعياد السورية الوطنية كلّها

اللوحة (11): مشروع لعمل فني جداري مستوحى من تصاميم جدارية لموضوع الرقص الشعبي السوري ابتهاجاً بأعياد الجلاء والأعياد السورية الوطنية كلّها

اللوحة (12): رقص السماح

اللوحة (13): حاملات الجرار من العين وإليها

اللوحة(14): جزء مفصل من تكوين جداري لموضوع ريفي سوري معد لينفذ بتقانة الزجاج المعشق (فيتراج)

فهرس لصور اللوحات المعروضة في البحث المنفذة منها وغير المنفذة

صورة الشكل رقم (1)	- "سورية الحديثة تبني نفسها في زمن السلم بكل ثقة واقتدار" - أبعادها 2,40×24م - نفذت في مدخل مدينة معرض دمشق الدولي من جهة ساحة الأمويين، صيف عام 1966م بتقانة الألوان الزيتية على خشب لاتيه تمت معالجته لمقاومة عوامل الطبيعة. - الدراسة الأولية للعمل نفذت بألوان التمبرا على ورق بقياس 22×220سم
صورة الشكل رقم (2)	"جزء من تصميم لوحة جدارية تعبر عن نضالات الشعب السوري من أجل حياة حرة كريمة تنشدها الأجيال العربية" أبعادها 60×600سم منفذة بألوان التمبرا على ورق عام 1968م في موسكو تم اقتناؤه لصالح وزارة الدفاع، بعد عرضه في المعرض الأول لذكرى حرب تشرين التحريرية عام 1974م
صورة الشكل رقم (3)	- "ولادة سورية الحديثة في عهد الاستقلال" - مرفقة مع عدة تصاميم معمارية حاملة للوحة ومُعدة للمكان المقترح لتنفيذ تلك الجدارية كنصب تذكاري فراغي أبعاد التصميم 40×80سم تصميم لمشروع عمل جداري مستقبلي عُدَّ ليزين إحدى ساحات مدينة حمص عام 1972م، منفذ بألوان الزيت على قماش
صورة الشكل رقم (4)	- "ثلاثية جدارية تعبر عن مراحل منجزات بناء الوطن" أبعادها 125×400سم مشروع لعمل جداري مستقبلي منفذة بألوان التمبرا والزيت على قماش عام 1972م، وقد عرضت بالمعرض السنوي بالمتحف الوطني بدمشق صيف 1972م
صورة الشكل رقم (5)	"منجزات سورية من أجل الحفاظ على استقلال الوطن" مع تصميم لدراسة معماري للمكان المقترح لتنفيذ تلك الجدارية كنصب تذكاري فراغي أبعادها 125×400سم مشروع لعمل جداري مستقبلي منفذة بألوان الزيت والتمبرا على قماش عام 1975م. وقد عرضت بمعارض خاصة بحرب تشرين التحريرية
صورة الشكل رقم (6)	- "من أجل ترسيخ أسس الاستقلال الوطني وبناء الدولة السورية الحديثة في عهد الرئيس الخالد حافظ الأسد" أبعادها 6×10م تصميم الفنان عبد المنان شما وشارك في التنفيذ الفنان ممدوح قشلان بتكليف من مدير معرض دمشق الدولي ناظم الحافظ على الجدار الغربي للجناح السوري في مدينة معرض دمشق الدولي عام 1975م نفذت بالألوان الزيتية على ألواح من اللاتيه
صورة الشكل رقم (7)	- "أعياد الجلاء رمزاً للاستقلال وبعض المنجزات التي حققها الوطن" أبعادها 120× 10م جزء من لوحة تصوير جداري نفذت في مدينة حمص بالأبعاد نفسها بالألوان الزيتية على ألواح لاتيه عام 1971م، خصّيصى لعرضها على واجهة مبنى البريد والاتصالات وعُرِضَتْ عدة سنوات متتالية اللوحة التي تظهر في الوسط مستقلة عن العمل وتبلغ أبعادها 240× 120سم، منفذة بالألوان الزيتية على لاتيه
صورة الشكل رقم (8)	- "دراسة وتصميم لوحة جدارية لمينة الرقة - درة الفرات بالمشاركة مع الفنان خالد المز بتكليف من محافظ الرقة لتزيين مبنى قصر المحافظة في الرقة" أبعادها 80× 120سم مشروع لعمل جداري مستقبلي منفذ بألوان التمبرا على ورق عام 1992م

صورة الشكل رقم (9)	"رقص شعبي سوري ابتهاجاً بعيد الجلاء وبشتى المناسبات الوطنية" أبعادها 50×150سم دراسة وتصميم لمشروع جداري مستقبلي منفذ بألوان التمبرا على ورق في موسكو عام 1963م طبعت كبطاقة فنية تتبادلها مع الوفود الأجنبية مع غيرها من البطاقات من قبل وزارة الثقافة
صورة الشكل رقم (10)	"الجزءان الأيمن والأيسر من ثلاثية جدارية لموضوع الرقص الشعبي السوري ابتهاجاً بأعياد الجلاء والأعياد السورية الوطنية كلّها": وضعت عدة دراسات خطية ولونية للعمل أولاها دراسة تبلغ أبعادها 50×300سم، ثم اعتمدت كأسكيز لنيل درجة الماجستير في موسكو حيث نفذت بعدها بقياس 145×600سم بألوان التمبرا والزيت على قماش عام 1964م نُفِّذَ الجزء الأيسر منها في موسكو صيف عام 1964م، بتقانة الفسيفساء الزجاجي بأبعاد 155×85سم. وعرضت في بالمعرض السنوي في المتحف الوطني بدمشق صيف 1965م، وهي مقتناة من قبل وزارة الثقافة
صورة الشكل رقم (11)	- "رقص السماح" التصميم الأولي للمشروع الجداري المستقبلي تبلغ أبعاده 50×70سم منفذ بألوان التمبرا على ورق عام 1963م التصميم النهائي تبلغ أبعاده 120× 175سم، بألوان التمبرا والزيت على قماش وذلك عام 1968م
صورة الشكل رقم (12)	- "حاملات الجرار من العين وإليها" أبعادها 80×160سم مشروع لعمل جداري مستقبلي مُعدَ للتنفيذ بتقانة اسكرافيتو عام 1962م
صورة الشكل رقم (13)	- "جزء مفصل من تكوين جداري لموضوع ريفي سوري" أبعادها 85×140سم مشروع لعمل جداري مستقبلي معد لينفذ بتقانة الزجاج المعشق (فيتراج) بين عامي (1968 - 1969) م

المراجع

1) شما،عبد المنان: "مقتطفات من مقالة/دراسة خاصة/عن الفنون الجدارية" مجلة قاسيون، صدرت في موسكو من الاتحاد العام للطلبة السوريين، العدد 18 تاريخ 1970م، ص28.
2) قشلان، ممدوح. نصف قرن من الإبداع في سورية دمشق، 2006م، ص146
3) الأحمد، أحمد: "النصب التذكارية ومكانته في حضارة الشعوب" مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، دمشق، كلية الفنون الجميلة، العدد الأول، 2005م، ص324
4) الشريف، طارق: "نعيم إسماعيل فن حديث بروح عربية" منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م، ص83.
5) مخزوم، أديب: "الفنان عبد المنان شما: أنا واحد من الفنانين العرب التقدميين والأصيلين" الثورة الثقافي، العدد 124 تاريخ 1998/8/16م
6) مقتطفات من حوار الباحث مع الفنان عبد المنان شما أجري بتاريخ 2010/3/25م
7) المصدر نفسه تاريخ 2010/3/25م
8) مقطفات من حوار الباحث مع الفنان عبد المنان شما أجري بتاريخ 2010/4/8م
9) جلاد، كمال: "إننا مندوبو الثقافة العربية" مجلة بلاد السوفييت تصدر باللغة العربية في دمشق، العدد 7 تاريخ 1966/4/5م ص22
10) مؤيد، مها: " د.عبد المنان شما: على الفنان أن يعيش عصره بصدق" جريدة الوحدة، تاريخ 1993/7/12 ص3
11) مقتطفات من حوار الباحث مع الفنان عبد المنان شما أجري بتاريخ 2010/4/15م
12) جلاد، كمال: "إننا مندوبو الثقافة العربية" مجلة بلاد السوفييت، المرجع السابق، ص23
13) المصدر السبق من حوار الباحث مع الفنان عبد المنان شما تاريخ 2010/4/15م

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2010/10/31